رسالة مفتوحة

إلى روم لبنان

د. مارك الأشقر

٢٠٢٤

رسلة مفتوحة إلى أبناء المذهب الرومي في لبنان، وخاصةً الأرثوذكس منهم

(المعلومات والخلاصات الأساسية بالخط العريض)

إلى إخوتي في المسيحية،

تحية وكامل احترامي وبعد،

خاصةً وأنكم تحاولون الحفاظ على هويتكم وتتطلعون إلى الأمام عسى تحققون ما تصبون إليه.

أكتب لكم وأنا أتشارك وإياكم الأمنية، كشخص ذهب بعيدًا في تحليل وتشخيص المعضلة اللبنانية بما فيها الرومية ومقاربة حلّها على مدى ١٠ سنوات، إستنادًا للعلوم الجينية والسوسيولوجية والدينية واللغوية... وإليكم النتيجة التي وصلت إليها، وأترك لكم تقييمها، وفيها وجدت أن الروم يحاولون إصلاح مشكلتهم ضمن نفس الخطأ الذي وقع فيه الموارنة ولا يزالون. لذا فأنا أدعو الموارنة للخروج من خطئهم، والروم أيضًا، لأن سر الحل السليم هو خارج "الفخّ" الذي وقعت فيه الجماعتان.

ففي بعض الحقائق،

الروم (والموارنة أيضًا) المشرقيين ("مشرقي" تسمية أوروبية) أي ذَوو شمال غرب وجنوب سوريا، لبنان، فلسطين وغرب الأردن، **هم كنعانيون (في لبنان وطرطوس)** وآراميون (في جنوب سوريا) وحَمَويون ويمحاضيون (في شمال غرب سوريا / عدا طرطوس) وأنباط (ذاب بهم بعض العبرانيين ممّن تمسحنوا، في فلسطين) **اعتنقوا الدين المسيحي**. لا أستطيع أن اشرح التفاصيل هنا. والآراميون والحمويون واليمحاضيون، وإلى درجة أقل الأنباط، هم ذَوو ثقافات شبه كنعانية. وهؤلاء الروم، وللحقيقية روم لبنان تحديدًا، هم أول ناس اعتنقوا المسيحية في العالم، إذا ما استثناء الحلقة الضيقة ليسوع من عبرانيين قلائل من الذين كانوا ذوي ديانة يهودية. وكانت أنطاكيا أول كنيسة.

نحو ٤٠٠ ق.م. كانت عبارة "آراميين" قد ضمّت كل سكان سوريا (بسبب تسمية اليهود للغة الكنعانية، اللغة السائدة، بـ"آرامية" قبل ١٠٠ عام - لن أدخل بالتفاصيل). وبعدها بـ٦٠٠ عام، **نحو ٢٠٠ ميلادي، ضمت التسمية كنعانيي لبنان الذين كان الإغريق فالرومان يسمونهم بـ"فينيقيين" منذ ١٢٠٠ ق.م..**

نحو ٤٠٠ ميلادي راجت اللغة السريانية كلغة فصحى في شمال شرق سوريا ودخلت إلى شمال غرب سوريا كلغة فصحى وليتورجية _ فمار مارون لم يكن سرياني (أقول هذا وأنا ماروني) بل كان يستخدم اللغة السريانية؛ كما دخلت اللغة السريانية جبل لبنان الذي كان لا يزال وثنيًا، وانتشرت إنما بخجل في باقي غرب المشرق* حتى مصر، بينما حلت شبه كليًا في شبه الجزيرة وبلاد ما بين النهرين، وفي بلاد فارس بشكلٍ قوي إلى جانب اللغات الإيرانية (الفارسية، البارثية...). وانتشار السريانية كفصحى جاء على حساب الكنعانية (المسمات حتى اليوم بـ"آرامية (إمبريالية)" Imperial Aramaic).

* إذا اعتبرنا المشرق يشمل بلاد كنعان وما بين النهرين والبادية؛ البعض يحدده ببلاد كنعان.

فراج أن اللغة السريانية هي فصحة الآرامية (أكرر، التي هي الكنعانية إنما بتلك التسمية من قبل اليهود)، أي المحكية (تمامًا كما حال العربية والمحكية في لبنان)، وأنهما لغة واحدة آرامية - سريانية. ونلاحظ أن الحرف الآرامي الإمبريالي

(الإمبراطوري) هو غير الحرف الآرامي - السرياني، أي أنّ، لناحية اللغة والحرف، عبارة "آرامي" هي تسمية خاطئة لما هو كنعاني بين عامي ٥٩٠ ق.م. و٤٠٠م.، كما أنها تسمية خاطئة لما هو سرياني منذ ٤٠٠ م.؛ أي أنها تسمية صحيحة لما يعود للشعب الآرامي قبل ٥٩٠ ق.م.. طبعًا كل هذا باختصار.

وأطلق السريان، ومعقلهم شمال شرق سوريا وجنوب شرق تركيا وأقصى شمال غرب العراق، **مفرد "الروم" و"بلاد الروم" على مناطق سيطرة بيزنطيا في المشرق**، لأن بيزنطيا كانت الإمبراطورية الرومانية الشرقية منذ عام ٣٩٥ وسابقًا جزء من الإمبراطورية الرومانية الشاملة، واستخدم العرب هذا المصطلح بعد السريان، وكان لا يزال مصطلحًا جغرافيًا وسوسيولوجيًا. ولكن لم يكن هناك روم وموارنة بعد، وكان مفرد "أرثوذكس" يعني الكنائس المسمات حاليًا "مشرقية" وليس "شرقية"، أي السريانية والقبطية والأرمنية، والـ٣ كانت حينها ذات عقيدة مونوفيزية، وأيضًا كنيسة المشرق النسطورية في العراق وفارس والجزيرة العربية، التي كانت ذات عقيدة ديوفيزية إنما دون اتحاد أقنومي.

أما "الروم والموارنة لاحقًا"، أي الذين ضمن نطاق أنطاكيا، التي كان نطاقها يضم أورشليم والقسطنطينية قبل إنشاء بطريركيتيْن لكلتيْ المنطقتيْن، فكانوا يشكلون وروما الكنيسة الخلقيدونية، ذات العقيدة الديوفيزية باتحاد أقنومي. **والانشطار في كنيسة أنطاكيا إلى رومية ومارونية سيتم عام ٧٤٢** (بعد صراع منذ ٦٨٥)، وسيكون سببه سياسي وليس عقائدي (راجع أدناه: الفارق العقائدي سيأتي عام ١٠٥٤).

منذ حينها، أي منذ ٧٤٢،

سيُستخدم مفرد "روم" لأول مرة للدلالة على "قوم" كما على مذهب للخلقيدونيين ذوي الطقس البيزنطي وهو باللغة اليونانية، ومنذ نحو عام ٩٠٠

سيُستخدم مفرد "موارنة" لأول مرة للدلالة على "قوم" كما على مذهب للخلقيدونيين ذوي الطقس الماروني وهو باللغة السريانية، (إيه نعم! قبلها كانوا "الموارنة" هم ببساطة "أتباع مارون"، ويستخدمون تسمية "لبنان" في لبنان: مثلًا: "الكنيسة الأنطاكية السريانية المارونية" التي مركزها اليوم في بكركي، تأسست تحت اسم "كنيسة لبنان الحرة".).

إذن يوحنا مارون هو أول بطريرك يسمى "ماروني" بمفعول رجعي، و"الروم" هم مذهب يُسمى "رومي" بفعل التسمية الجغرافية - الاجتماعية السريانية / العربية. **أما في الغرب فيسمّى "الروم" بـ"اليونانيين" (Greeks) نظرًا للغة التي يستخدمونها. وبعد الانشطار الكبير عام ١٠٥٤ والتحاق روم انطاكيا بالقسطنطينية عام ١٠٥٧ على أساس الطقس واللغة الواحديْن، سيضم مصطلح "أرثوذكس"، من وجهة نظر روما في الغرب، "الروم - The Greeks"، الذين يُعرفون اليوم بالكنائس الشرقية، إلى جانب الكنائس "المشرقية" وكنيسة المشرق النسطورية.**

رغم انتشار اللغة اليونانية كلغة فصحى للأوساط الفكرية والعلمية والدينية منذ الاحتلال الإغريقي عام ٣٣٣ ق.م. لا بل قبله بقرن، لم يمنع الإغريق استعمال الكنعانية (المسمات بـ"آرامية") كلغة فصحى ورسمية وحتى دينية، ولا منع الرومان منذ احتلالهم المنطقة عام ٦٤ ق.م. استعمال اليوناني والكنعاني (المسمّى بـ"آرامي") كلغة فصحى ورسمية ودينية، رغم أن استخدام الكنعانية سينحسر تدريجيًا تحت الضغط المزمن. بهذا، ظلّ سكان بيزنطيا في المشرق يصلون بلغتهم الكنعانية المسمات بـ"آرامية" حتى **عام ٣٢٨**، حين **أصدر قسطنطين قرارًا يفرض اللغة اليونانية كلغة ليتورجية في المشرق**، واستمر ذلك حتى فرض الخليفة أبو منصور العباسي نحو عام ٧٦٠ العربية على الروم من الناحية الدينية (هو فرضها على كل مسيحيي الدولة العباسية). وكان عبد الملك بن مروان قد فرض العربية لغةً رسميةً وفصحةً في المشرق عام ٧٠٠ تحديدًا.

إذن الروم والموارنة هم مسيحيون خلقيدونيون، بعقيدة واحدة خلقيدونية تشوبها ٣ إلى ٧ (أو لنقول بضعة) استثناءات دينية يختلفون عليها إثر الانشطار الكبير، وهي لا تمت إلى الحياة الاجتماعية بصلة. من بين تلك نذكر جدلية انبعاث الروح القدس من الآب وحده أو من الابن أيضًا، استعمال الخميرة لصناعة القربان أو عدمه، حبل أم العذراء بلا دنس... هذا عدا الفارق في الطقس ولغته، وطبعًا سلطة أسقف روما الذي جُعل منه، لدى الكاثوليك، بابًا، فوق باقي الأساقفة، ولو انه يُعتبر الأول بين متساوين. وقام الأرثوكس بالأمر عينه لناحية أسقف القسطنطينية تجاه أنطاكيا وأورشاليم والإسكندرية، ولو انّ تأثير القرار على أرض الواقع هو شبه منعدم نسبةً لدور البابا.

بيولوجيًا، حسم العلم الجيني، رغم الحاجة لإيضاح بعض الأمور الثانوية، **بأن اللبنانيين،** والمشرقيين بدرجة أقل، **هم أحفاد الكنعانيين،** بمعزل عن المسلمين الذين حلو بأعداد غير قليلة منذ الفتوحات (غير قليلة، أشدّد، في لبنان تحديدًا). **ودخول جماعات إغريقية ولاتينية وسواها بقي على نطاق ليس ضيق فحسب بل ضيّق جدًا،** ~ ٢٪. فلم يذب الكنعانيون بشعب آخر يوازيه حجمًا أو أكبر، ولم يستوعبوا أعداد توازي نصفهم ولا ربعهم بل ٢٪. بالتالي فإنّ الجماعات الصغيرة لا بل نقول الأفراد الذين دخلوا الشعب الكنعاني انصهروا به، وطبعًا **أتوا بأمور من ثقافتهم، إنما تعتبر جزءًا من تطور الشعب الكنعاني وليس تغييرًا بهويته** العامة. وهذا يحصل لدى جميع الشعوب! ألم يذهب الكنعانيون إلى اليونان وباقي حوض المتوسط وألم يأخذوا الفكر والحضارة؟

وكون المسيحية هي دين فقط، وليست دين ودنيا أي ليس لها شريعة للحياة اليومية، فدخلت إلى قلب الشعوب دون تغيير هوياتها. لكن الكنيسة أدخلت أمور دنيوية عبر باب العادات الدينية المنبثقة من الكنعانية ومن العبرانية / اليهودية (وللأخيرة عادات اقتبستها من الكنعانية)، لكنها تبقى تلك خارج الفقه المسيحي ويجب الحد من مفعولها وتصحيح الخلل فيها. وأقلّه في لبنان، **بقي الروم والموارنة اجتماعيًا ذوو هوية واحدة سوسيولوجيًا.** فهم منصهرون اجتماعيًا إذا ما استثنينا المواقف السياسية تجاه المسلمين، ورغم من ذهب نحو الأحزاب "اليسارية" (لن نعالج وضعهم هنا).

أما لناحية "طائفة" (Confessional Community)، فالتعبير هو مصطلح يرمي إلى التمييز بين مذهبيْن ضمن شعبٍ واحدٍ (نعني شعب سوسيولوجي أي بمعنى الهوية وليس إداري أي بمعنى الجنسية) على قاعدة الاندماج الإجتماعي، رغم انصهارٍ في الهوية، كما هي الحال بين السنة والشيعة والدروز. إن السردية السياسية المختلفة بين المقاومة "المارونية" لـ١٣٠٠ عام وتحملها المصاعب والحصار مقابل اضطرار الروم للخضوع مدى ١٣٠٠ عامًا وتحملهم شروط الذمية لم تصل إلى عدم اندماج وإنْ كادت (نذكر "التركي ولا بكركي")، على أنّ تداخلهما الجغرافي المحدود لم يسهل في الأساس بروز الاندماج حتى فترة ليست ببعيدة.

نقارن مع المسلمين المنصهرين اجتماعيًا، مثلًا في جميع التجارب المسيحية - الإسلامية، لكن غير المندمجين اجتماعيًا. على سبيل المثال، إن زواج ماروني برومية أو العكس لا يمثل مسألة اجتماعية ذات حساسية _أقله في أيامنا_ على قدر زواج سني بشيعية أو بدرزية. ونرى أنّ المسلمين في لبنان لا يقطنون نفس البلدات سوى استثنائيًا (حوالى ٢٠ بلدة من أصل ~ ٨٠٠؛ ممكن توضيح هذا الأمر خارج نطاق هذا المقال). وإذا وضعنا جانبًا حس الفكاهة في المجتمع، وغسيل الأدمغة الذي حصل عند الأجداد، وحتى اختلاف الخيارات السياسية بين موارنة وروم بفعل الاحتلال المسلم وطريقة التعامل معه والذي كان السبب المباشر لانشطار الكنيسة الأنطاكية إلى موارنة وروم، **فلا نزال نقول "مسيحي سني شيعي درزي"، وليس "ماروني رومي سني شيعي درزي"... ولهذا التعبير دلالات عميقة...**

هنا من المهم ذكر نبذة عن الخلاف الأنطاكي فيما خص التعامل مع المسلمين: كان بطريرك أنطاكية قد لجأ إلى القسطنطينية (إسطنبول حاليًا) عام ٦٣٨ بسبب الاحتلال المسلم. واستمر بطاركة القسطنطينية (وهم أعلى شأنًا - ولو أولون بين متساوين - من نظرائهم الأنطاكيين فقط بسبب كون القسطنطينية هي العاصمة _ راجع مجمعيْ ٣٨١

و٤٥١)* سواسيةً مع الإمبراطور يعيّنون بطاركة لأنطاكيا، والبطاركة الأنطاكيين هؤلاء بقوْا يقيمون في القسطنطينية. وعام ٦٩١ دخل الإكليروس الأنطاكي وبطريركه في القسطنطينية شرعيًا تحت سلطة بطريرك القسطنطينية (التعبير وفق المراجع المختصة). لكن مسيحيي جبل لبنان كانوا قد انتخبوا عام ٦٨٥ يوحنا مارون الذي كان قد أسس "كنيسة لبنان الحرة" عام ٦٧٦، وأخذ لقب "بطريرك أنطاكيا"، بعد غياب بطاركة أنطاكيا عن المنطقة لمدة ٤٤ عامًا ودون أفق عودة. وبوفاة آخر بطريرك أنطاكي معيّن من القسطنطينية عام ٧٠٢، أوقف ملك بيزنطيا تعيين بطاركة أنطاكيين واعترف بيوحنا مارون بطريركًا أنطاكيا على كرسي أنطاكيا. لكن عام ٧٤٢، فضّل أتباع الطقس البيزنطي شرب الكأس المرّ وإعادة إكليروس خاص بهم وبطريركًا لهم في أنطاكيا إنما يعينه الخليفة المسلم (أو يوافق عليه بالحد الأدنى)، كشرط ليقيم هذا البطريرك في الأراضي المحتلة ليرعى (من تبقّى ولم يؤسلَم مِن) رعيّته عن قرب، خاصةً أنّ البطريرك في لبنان كان محاصرًا ولا يستطيع الذهاب إلى أرجاء نطاق أنطاكيا المحتل من المسلمين (نقولها بمحبة وغفران إنما هذا ما هو عليه التاريخ). وبعد إلغاء الخلافة عام ١٩٢٣، انتقل هذا الحق إلى الحكام المدنيين للدول "العربية" وهي جميعها، ما عدا لبنان، تقول في دساتيرها "دين الدولة الإسلام"، وتستطيع أن ترفض تبوّء شخصية ما سدة بطريركية ضمن نطاقها، ما حصل في العراق في منتصف ٢٠٢٣. كل هذا مع التشديد، إذن، على أنّ لم تكن "كنيسة لبنان الحرة" مارونية تحديدًا، فقد تبعتها وبطاركتها الأقلية ذات الليتورجيا البيزنطية في جبل لبنان، حتى عام ١٠٥٧، حين التحقوا بالكنيسة الأنطاكية الرومية الأرثوذكسية بعد انْ انشقّت الأخيرة عن روما في العام نفسه، لتتبع الانشقاق الكبير بين القسطنطينية وروما عام ١٠٥٤. إذن الانقسام هو سياسي على أساس جغرافي، إنما سيأخذ طابع مذهبي بسبب كون غالبية جبل لبنان ماروني المذهب بليتورجيا مارونية باللغة السريانية وغالبية المحيط رومي بليتورجيا بيزنطية باللغة اليونانية.

* عام ٣٨١ جُعل أسقف روما أول بين متساوين أيضًا فقط بسبب كون روما هي العاصمة. لم تكن القسطنطينية بطريركية بعد.

إذن نورد مختصر يجب أنْ يُعمّم ليعلم روم المشرق أنهم ليسوا في فلك اليونان سوى بفعل السياسة. أما دينيًا فهم ليسوا أقل شأنًا منهم، ولن نقول انهم "أكثر شأنًا" بل أقله أنّ "لهم الأقدمية"، واجتماعيًا هم مستقلين كليًا.

- ٣٢٨: **قسطنطين يدخل الطقس البيزنطي باللغة اليونانية إلى الأناضول، وإلى المشرق مكان الكنعاني.** لذا، سيشمل مفرد "يوناني" لدى الغرب لاحقًا مسيحيي لبنان وسوريا وفلسطين والأردن (أي أنطاكية وأورشليم (أي القدس للمسلمين))، فهم يقولون بـ"طائفة اليونانيين" وليس بـ"طائفة الروم". وما زال الجبل اللبناني (أي من عكار إلى جزين) وثنيًا. بيد ان اللغة الرسمية للإمبراطورية البيزنطية ستبقى اللاتينية (إلى جانب اليونانية والكنعانية) حتى عام ٦١٠ لتصبح حينها فقط اليونانية.

- ٣٦٦: أسقف روما يُدعى لأول مرة قانونيًا ورسميًا "بابا"، إنما مراجع أخرى تقول بأنّ استعمال اللقب بانتظام لن يكون قبل القرن التاسع.

- ٣٨١: **الديانة المسيحية تصبح ديانة الدولة الرومانية. أسقف روما يُمنَح لقب "أول بين متساوين"** أمام الإسكندرية وأنطاكيا لأنها العاصمة، يليه أسقف القسطنطينية الذي سيُرفع شأنه والقسطنطينية لا تزال أسقفية (ليس لها بطريركًا بعد)، لأنها العاصمة الثانية و"روما الجديدة". فيقرأ القانون الثالث: "على أنّ يكون لأسقف القسطنطينية امتياز الشرف بعد أسقف روما لأن القسطنطينية هي روما الجديدة"، ما يُعتبَر في بعض المراجع اعترافًا بكونها بطريركية منذ تلك اللحظة، لكن أسقفها سيبقى يعيّن من قبل أنطاكيا، ولن يكون لها بطريركًا إلا منذ عام ٤٥١.

- ٣٩٥: **انقسام الإمبراطورية الرومانية** إلى غربية وشرقية (بيزنطية).

- ٤٥١: في هذا المجمع، لم تعد بطريركية أنطاكيا تشمل الأردن وفلسطين، حيث بات هناك بطريركًا مستقلًا لهما في كنيسة أورشليم. أيضًا، **أول بطريرك قسطنطيني، لكن الذي سيُمنح رتبة "أول بين متساوين" بنفس رتبة أسقف روما.**

كما لدينا أسباب مشابهة لكون الموارنة في فلك الفاتيكان، لن نوردها الآن هنا.

بالعودة إلى المسيحية، فهي دين. إذن الكنعانيون بقوا كنعانيين إنما بافتقادهم لتسميتهم الأصيلة. لم يحدث أي تبديل للشعب، وكان هو نفسه في الساحل يتاجر ويصنع الأرجوان وسيكون مسيحي ولاحقًا خلقيدوني ولاحقًا تحديدًا رومي، وفي الجبل يقطع الأرز بطريقة حرفية وينقلها إلى الساحل وسيكون مسيحي ولاحقًا خلقيدوني ولاحقًا تحديدًا ماروني (مع أقلية رومية). هم، الموارنة والروم في لبنان، كنعانيون، ولو أقرّينا بأنهم تغيروا "كثيرًا" عن أسلافهم. فكنعانيو القرن الأول ميلادي لم يكونوا ككنعانيي ٣٠٠٠ ق.م.. وليست صناعة الأرجوان التي تحدد من هو كنعاني على مدى الزمن. من هنا أيضًا، الموارنة ليسوا شعبًا: فقد وضع مار مارون مسلكًا وتشكل مذهبًا بعد وفاته، بشّر من بين أتباعه الرهبان كنعانيي جبل لبنان، ولجأ بعضهم إليه. وأيضًا الروم ليسوا بشعب، فهم ليسوا نفس الشعب اليوناني أو الروسي ولا شعب على حدا.

أمّا من أسلم من مسيحيين، فهو خرج من هويته / ثقافته / دنياه ودخل الأمة (أي الشعب / الإثنية / القومية)* المسلمة بهويته / ثقافته / دنياه المسلمة (ولا نقول العربية)، ولم يعد من هوية / ثقافة / دنيا كنعانية ولا من أمة / إثنية / قومية كنعانية / شعب كنعاني، بل بات من هوية / ثقافة / دنيا / أمة / إثنية / قومية مسلمة / شعب مسلم، ولو أنّ جيناته ما زالت كنعانية. وهذه الحال تنطبق على جميع المسلمين، كما في مصر والعراق: فالمسلم هناك ليس قبطي ولا أشوري.

طبعًا مسلمو المشرق كما غالبية، وليس جميع، الدول العربية، مُعرّبون في ما لا تتعاطى به شريعة الإسلام، أضف إلى ذلك أنهم مكنعنون جدًا في لبنان، بفعل الاحتكاك مع كنعانييه _المسمّون بـ"مسيحيون، إما موارنة أو روم": مثلًا، شيعة بعلبك يقومون بالدبكة البعلبكية، وهي عادة كنعانية، وليست عربية ولا مسلمة، وهم مكنعنون بدرجة أقل في المحيط. ومسلمو بلاد فارس "مفرّسون" بسبب أسلافهم الفرس ما قبل الإسلام. هذا أمر طبيعي. لكن تأثير الثقافة العربية أو الكنعانية أو الفارسية من مطبخ أو ملبس أو لغة أو موسيقى... لا يرتقي إلى عدم كون المسلمين من أمة واحدة إسلامية، إذا يطبّقون إسلامهم كما يجب بالحد الأدنى (طبعًا هناك تمايز ضمن المذاهب والفرق المسلمة وخلافات فقهية). طبعًا هناك جماعات أقلوية محسوبة على الإسلام وهي غير مؤمنة، أو مؤمنة إنما جد "متحررة"، لكن هذا تفصيل. أما عدم إيمان أقلية من "مسيحيي لبنان" فلا يتعارض وهويتهم الكنعانية، فالكنعانيون قسمان: منهم من هو مؤمن بالمسيحية (وهم الغالبية) ومنهم من هو بغير مؤمن.

* ملاحظة: "قومية" هي حرفيًا "إثنية". "إثنية" هي تعريب "Ethnicity"، من اليونانية "Ethnos"، أي "قوم". و"أمّة" مرادف لـ"شعب" ولـ"قوم".

والكنعانيون والمسلمون في لبنان هم لبنانيون إداريًا / قانونيًا فقط، وليس اجتماعيًا. لبنان كان أرضًا وجزءًا من بلاد كنعان، سكنها كنعانيون. ليس هناك علميًا شعب لبناني لناحية السوسيولوجيا (ذكرنا فقط استعمال الاسم بين ٦٧٦ و~ ٩٠٠ من قبل مسيحيي جبل لبنان). حاليًا في لبنان شعبان، وطبعًا يتشاركان أمور، قد نقول "كثيرة"، لكنهما غير منصهريْن. هذا يذكّرنا بالشعبيْن السوسيولوجيًا الفلاماني والوالوني ضمن الشعب إداريًا / قانونيًا البلجيكي.

دخلت السياسية عمق "المارونية"، مع ما جاء بالإفادة من صمود ١٣٠٠ عامًا بوجه المسلمين، لكن هذا لا يجعل صحيحًا تدخل البطاركة بالسياسة والدفاع العسكري بل يبقيه "خطأ" من ناحية الفقه مسيحي. العلمنة هي في صلب

الديانة المسيحية. وليست كل علمنة تعني فصل الدين عن الدولة. ممكن أنْ تعني فصل المؤسسات الكنسية عن الدولة (Disestablishment)، أي منع تدخلها بالسياسة، وأن يبقى دين الدولة هو المسيحية، وأنْ يتم تشريع قوانين إنطلاقًا من الرؤيا المسيحية، طالما التشريع صادر عن مجلس النواب وليس عن المؤسسات الكنسية، ونكرّر، دونما أن تتعاطى الكنيسة في السياسة. ومن المفيد أنْ تنسحب بكركي (وباقي الكنائس) يومًا ما من الحياة السياسية وتسهر على تعليم مبادئ يسوع بطريقة يلتزم بها الحكام المدنيين عفويًا دون أنْ تضطر هي أنْ تستلم زمام الأمور.

ودخلت السياسة عمق "الرومية" - البيزنطية حينها، فكل المجامع الأولى السبعة المشتركة بين لاحقًا الكاثوليك والأرثوذكس (ولن نتطرق للتي تلتها في روما أو في الشرق) جاءت بحضور الأباطرة وتدخلهم المباشر، سيّما وأنّ القسطنطينية كانت العاصمة الرومانية الثانية خلف روما قبل ٣٩٥ بقرار من قسطنطين الذي غيّر اسمها من بيزنطيا، وباتت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية بعد ٣٩٥، وخلقيدونيا ونيقيا كانتا ضاحيتيْن منها، وأفسس ليست ببعيدة. ولهذا سمّى السريان الخلقيدونيين بـ"الملكيين" (وليس "روم" - للناحية المذهبية)، أي "الخاضعين للملك"، ودعموا المسلمين إبان الغزو الإسلامي، الذي ظنّوه يأتي بمذهب مسيحي جديد يشبه من بعيد المونوفيزية بفكرة الـ"مونو" / لا إله إلا الله، يحررهم من نير الملك البيزنطي.

بالخلاصة، الدعوة الأولى ليست باتحاد الروم والموارنة تحت راية الهوية الكنعانية المشتركة لأن العددية المارونية ستغلب بظل "المَوْرنة" القائمة، بل الدعوة الأولى هي بالدخول بمشروع تتعهد فيه بكركي أنْ تنسحب من السياسة بعد أن تكون قد أتمت مهمتها بنجاح، رغم خضّات عديدة، منذ ٦٧٦ حتى تحقيق استقلال اجتماعي وثقافي وسياسي تام، عبر نظام فدرالي ضمن لبنان الكبير أو عبر تقسيم لبنان، على أساس ثقافي كنعاني - مسلم. من بعدها، وبانسحاب رجال الدين الروم من السياسة أيضًا، يحافظ الموارنة والروم على ليتورجيتيْهما، ولكنّهما يخرجان من الاصطفاف السياسي والإداري والقانوني المخالفين لجوهر الديانة المسيحية، والمخالفين أيضًا للوحدة الاجتماعية القائمة.

وأي رفض للموارنة بالسير بهذا الاتجاه سيصعّب الأمور عليهم وعلى الروم، حيث باستثناء قضاء الكورة، الروم جغرافيًا مبعثرين. لذا أدعوكم يا إخوتي الروم، إخوتي بالكنعانية كما بالمسيحية، بمساعدتي على إصلاح وضعية كنيستي المارونية، لإصلاح ديانتي المسيحية، بالتوازي مع إصلاح مجتمعي الكنعاني، الذي يضم أيضًا غير مؤمنين، لن يضطروا حينها إلى المطالبة بقيض غير طائفي وبمذهب "علماني" (لا عيب بالمطالبة ولا عيب بهكذا قيد لكن لا حاجة لهما إذا يتم تصحيح الخلل!)، حيث نحن وإياهم كنعانيون، ونقبلهم على أساس: "ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجا من ذلك البيت او من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم" (مت ١٠/١٤؛ مر ٦/١١؛ لو ٥/٩ و١٠/١١)، ونعيش مسيحيتنا كما يتوجب إلى جانبهم عسى يتعظوا، وبالنهاية كل نفس تخلص نفسها (مثل العذارى)، وهذا جوهر المسيحية. ولكننا نكون يدًا واحدة، موارنة وروم، في الدفاع عن ديانتنا المسيحية بمذهبيْها في لبنان، ونكون يدًا واحدة مسيحيين وغير مؤمنين في الدفاع عن هويتنا الكنعانية، لنعيش حريتنا بسلام وازدهار وانفتاح على المحيط دون خسارة أنفسنا، عسى يتّعظ منّا الآخرون.

د. مارك الأشقر،

بيروت، لبنان

آذار ٢٠٢٤